صور من النكبة والبطولة في شمال قطاع غزة

03-10-2004

وتتصدى المقاومة الفلسطينية بمختلف فصائلها ويحمى وطيس المعركة عندما تحاول الآليات العسكرية التقدم كما حدث في مخيم جباليا أو المناطق السكنية المكتظة، حيث تدوي انفجارات العبوات الناسفة ويدوي معها تكبير وتهليل المواطنين، ويتم التعرف على حجم الخسائر في آليات

بقلم وسام عفيفة

من يصل إلى منطقة شمال قطاع غزة يستطيع أن يلتقط العديد من الصور أبرزها صور للتضحيات والبطولات والمقاومة بكل شيء ...بالسلاح، والسواعد، الهتاف، والأعلام وحتى بدخان الإطارات المحروقة.. بكل ما تصل إليه أيدي المقاومين والسكان.

كما تستطيع أن تلتقط مشاهد للنكبة من جديد ... أنقاض المنازل المهدمة والأراضي الزراعية المجرفة وخراب ودمار طال كل مناحي الحياة، ثم صور دموية... أشلاء وجراح وشهداء ودموع بعد أن أصبح كل شئ مستهدف وبشكل جماعي. خلال الأيام الأربع الأولى ارتكبت قوات الاحتلال عمليات قتل جماعي، فقد نفذت قوات الاحتلال أكثر من سبع عمليات قصف بصواريخ أطلقتها طائرات استطلاعية، وأخرى من نوع "أباتشي" وقذائف الدبابات نحو تجمعات السكان راح ضحيتها نحو 27 شهيداً، آثار بقع دماء طاهرة نزفت على الأرض، أشلاء متناثرة على أسطح وشرفات المنازل، ورائحة لحم بشري أحرقته شظايا الصواريخ تعبق في المكان، جميعها شواهد على جرائم الاحتلال ضد الـمواطنين الفلسطينيين في مخيم جباليا وحي تل الزعتر.

الحزن والغضب بدا على وجوه جميع المواطنين المقيمين قرب أماكن تنفيذ الجرائم الإسرائيلية، وآخرين حضروا لتفقد مواقع استشهاد هؤلاء المواطنين.

منذ بدء الاجتياح الإسرائيلي لمحافظة شمال غزة، لم تنقطع أصوات الانفجارات والقصف الذي استهدف أجساد المدنيين والمقاومين الفلسطينيين، ففي معظم المرات التي يُسمع فيها صوت انفجار، يتفاجأ المواطنون بأجساد ممزقة وأشلاء متناثرة، وبقع دماء متجمعة، يُعلن في أعقابها عن أسماء شهداء وضحايا جدد لجرائم إسرائيلية متواصلة، وأفراد طواقم الإسعاف يسرعون في جمع هذه الأشلاء ونقلها إلى المستشفى وسط أجواء توتر ورعب، وشعور بالغضب والحزن يسود المتجمهرين؛ هذه الأشلاء جُمعت في نعوش حملها شبان غاضبون على أكتافهم وسط مسيرات حاشدة انطلقت من مستشفى الشهيد كمال عدوان، لتشييعها.

ومن الصور الحية الحزينة قصص شهادة وشهداء...الشهيد عيد عفانة من سكان حي تل الزعتر، الذي فقد ابنه أحمد شهيداً خلال اجتياح سابق لبلدة بيت حانون، قبل نحو عام، كان في مهمة لصد العدوان الإسرائيلي على منطقة تل الزعتر، رافقه صهره فتحي عفانة، وأحد جيرانه الشهيد حمدان، وجميعهم استشهدوا.

ولم تخلُ قاعة الانتظار في قسم الطوارئ في مشفى الشفاء بغزة على مدار الأيام الأربعة الماضية من مئات المواطنين من ذوي الجرحى، وذلك بانتظار سماع أية أخبار حول ما آلت إليه حالتهم الصحية، وإن كانوا يعلـمون جيداً أن معظم جرحاهم في حالة فقدان للوعي، وأن أوضاعهم الصحية حرجة جداً، خاصة أن إصابات عدد منهم تمركزت في الأجزاء العلوية من الجسم، والبعض الآخر تعرض لإصابات خطرة في مختلف أجزاء الجسم.

ومن بين المصابين في قسم العناية المركزة المواطن رائد محمد المبحوح، الذي أُجريت له عملية جراحية لبتر ساقه جراء الشظايا، مزقت الجزء الأكبر من ساقه، وألحقت إصابات خطرة في مختلف أنحاء جسمه. وكثير من المصابين تعرضوا لبتر أطرافهم لان معظم السلاح الإسرائيلي المستخدم هو من الصواريخ والقذائف المختلفة المحرمة دوليا لذا كانت مهمة سائقي الإسعاف غاية في الصعوبة.. نقل مصابين وأطرافهم تكاد تلتصق بأجسادهم.

وشوهد في المكان نفسه العديد من المواطنين، الذين افترشوا أرض صالة الانتظار التابعة للقسم بانتظار سماع أخبار عن ذويهم المصابين، كما ازدحمت مختلف أقسام مستشفى الشفاء بالـمصابين،

وبين أن الطواقم الطبية في المستشفى تعمل على مدار الساعة، ولا تتلقى سوى قسط بسيط من الراحة، نظراً لكثرة أعداد المصابين وتلاحق توافدهم على المستشفى خلال الأيام الأربعة الماضية.

وبين مركز المعلومات الصحية التابع لوزارة الصحة أن عدد شهداء شمال قطاع غزة بلغ حتى ظهر أمس السبت 50 شهيداً، فيما بلغ عدد المصابين 197 جريحاً.

وأوضح المركز أن من بين الشهداء 13 طفلاً تقل أعمارهم عن 18 عاماً، وبلغ عدد الجرحى من الفئة العمرية نفسها 87 جريحاً، وأن نسبة الشهداء والجرحى، الذين سقطوا إثر إصابتهم بالأعيرة النارية 32%، ونسبة الجرحى، الذين أصيبوا بشظايا القذائف الصاروخية والمدفعية نحو 36%، فيما بلغت نسبة الجرحى، الذين تعرضوا لإصابات مختلفة في الجسم 2,24%، وبلغت نسبة الذين تعرضوا لإصابات في الجزء العلوي من الجسم 5,46%.

ولفت التقرير إلى استخدام قوات الاحتلال أسلحة محرّمة دولياً، مثل القذائف الـمسمارية، والانشطارية، والصواريخ الحارقة، مشيراً إلى أن جثامين ثمانية شهداء وصلت إلى الـمستشفيات عبارة عن أشلاء نتيجة إصابتهم بشكل مباشر بقذائف وشظايا من الدبابات والطائرات الحربية الإسرائيلية.

وصور مؤلمة أخرى عندما تصل جثث وأشلاء الشهداء وتبدأ مرحلة صعبة للتعرف على هوية الشهداء خصوصا من الأهالي الذين

أنقطعهم إخبار أبناءهم.. هذا ابني أيضا، نعم قد يتعرف الأب على جثتين لا بناءه وليس واحد فقط وهذا ما حدث عندما أطلقت قذيفة دبابة مسمارية، تجاه تجمّع للمواطنين في شارع المدارس في بلوك 4 في مخيم جباليا، فسقط الشهيدين نضال سعيد البيشاوي (16 عاماً)، وشقيقه سلطان سعيد البيشاوي (18 عاماً)، وكان من الصعب التعرّف عليهم بسبب تشوّه معالمهم وتفحّم جثثهم، جرّاء شدّة القصف العدواني.

في صورة أخرى وفي موقع آخر يقوم رجل بتوزيع زجاجات صغيرة من الماء على جيرانه في البرج السكني الذي يقع في منطقة "أبراج الندى" شمال قطاع غزة. ففي هذا البرج الذي تقطنه ثماني عشرة عائلة لا يوجد سوى عشرة لترات من الماء بعد ان قام جنود الاحتلال بقطع المياه عن المنطقة. السكان في هذا البرج كما هو عليه الحال في كل الأبراج الأخرى، يتعاملون مع ما تبقى لديهم من ماء كما يتعاملون مع الأحجار الكريمة، فهذا الماء ليس لشرب الكبار، بل لإعداد حليب الأطفال ولشربهم. عدم وجود المياه جعل الحياة في هذه المنطقة جحيما لا يطاق، فلا استخدام للمياه في المطابخ أو دورات المياه.

ومن صور الاحتلال التي لم تترك الفلسطينيين على مدار الأيام الماضية صور الطائرات بدون طيار والتي تشارك في عمليات القصف ولم تفارق سماء المنطقة التي تدور فيها العمليات. ويتواصل لليوم الخامس على التوالي، انقطاع التيار الكهربائي عن محافظة شمال قطاع غزة بسبب القصف الإسرائيلي للمحولات الكهربائية الرئيسية للمحافظة.

حيث يسود الظلام الدامس، ولا يتمكن عمال الصيانة القيام بأي إصلاحات، وبسبب روف الاحتلال الإسرائيلي خصوصا القناصة من قوات الاحتلال الذين يحتلون أسطح بعض المنازل العالية، في منطقة تل الزعتر في مخيم جباليا، ويستهدفون كل جسم متحرك.

قوات الاحتلال الإسرائيلي تقوم أيضا بإطلاق النار بكثافة على سيارات الإسعاف وسيارات الصحفية المتوجّهة إلى مواقع العمليات، ممّا أسفر عن إصابة أحد رجال الإسعاف بجراحٍ، حيث تمنع سيارات الإسعاف من نقل المصابين، ممّا يتسبّب في استشهاد العديد من الجرحى قبل وصولهم إلى المستشفيات.

وصورة أخرى من صور المقاومة والبطولة عندما تقترب من مخيم جباليا الذي غطته سحابة سوداء نتيجة الدخان المنبعث من الإطارات التي عمدت المقاومة لإحراقها لتوفير غطاء يشوش على عمليات رصد طائرات الاستطلاع والمناطيد.

في حين ينتشر رجال المقاومة في مختلف الأزقة والشوارع، ويمكن التعرف على هوية المقاومين الفصائلية من خلال الزي الذي يرتدونه والشارة التي تلف جبين المقاومين الذين يربض بعضهم خلف السواتر وبأيديهم أسلاك العبوات أو أمامهم تنصب القذائف المضادة للدروع المصنعة محليا مثل البتار والياسين.

ثم يلاحظ أن مقاتلين من كتائب القسام ينظمون ورديات لدوريات وفرق الاستطلاع ويتم تغيير المجموعات على مدار الساعة، فيما يشارك بعض الأهالي في مساعدة المقاومين في الرصد لحركة العدو وتقديم الماء والغذاء خلال فترات الحراسة على مداخل المناطق السكنية.

وتتصدى المقاومة الفلسطينية بمختلف فصائلها ويحمى وطيس المعركة عندما تحاول الآليات العسكرية التقدم كما حدث في مخيم جباليا أو المناطق السكنية المكتظة، حيث تدوي انفجارات العبوات الناسفة ويدوي معها تكبير وتهليل المواطنين، ويتم التعرف على حجم الخسائر في آليات العدو عندما يشاهد الدخان والسنة اللهب تتصاعد منها أو يتم استدعاء آليات لسحب المعطوبة، وقد أعطبت العديد من الآليات العسكرية خلال الأيام الأربعة الماضية خصوصا عند محاولات التوغل في مخيم جباليا.

هذا وتشارك الإذاعات المحلية في غزة المقاومة من خلال بث الأغاني والأناشيد الوطنية ورصد التطورات الميدانية على مدار الساعة من خلال الأخبار العاجلة والنقل الحي والمباشر من وسط المواجهات والاشتباكات وتوجيه النداءات المختلفة للجماهير ولرجال المقاومة الشعبية.